

لبنان : بعث الشيوعيين والقوميين السوريين ؟. هل يخضع "حزب الطبقة العاملة"، من جديد ، لاستغلال القوى التي ساهم في تسييدها ؟ 1 من 2

حازم صاغية حازم الأمين نشر في الحياة يوم 07 - 10 - 1998

أثارت عودة الحزب الشيوعي اللبناني الى بعض واجهات التداول اللبناني، وظهوره في متن ما تبقى من "سياسة" ومن متن، أسئلة عن معنى العودة والظهور. و"المعنى"، هنا، لا يطول دور الحزب ووظيفته في المرحلة هذه، بمقدار ما يطول أسباب العودة المفاجئة، خصوصاً أنها تُوّجت بعملية عسكرية ضد موقع اس... لي والاثنان مسيحي ودرزي من جبل لبنان. لكن العملية حصلت أيضاً بعد أن أظهرت الوقائع عدم قدرة "السرايا اللبنانية او وقصد منها استضافة أبناء الطوائف الأخرى في نشاطه العسكري، على تشكيل حالة استقطاب جدية.

ومظاهر عودة الحزب التي حفلت بأخبارها صحف بيروت وأعمدة المعلقين، منقسمين ما بين مُرحّب ومُتريّث ومُتسائل، ... مع اطلالات متتالية لأمينه العام السابق ونجمه الدائم جورج حاوي على شاشات التلفزيونات اللبنانية وصفحات الصحف، ... بعدما قضى السنوات القليلة الماضية في تجارةٍ قال هو نفسه إنها جلبت عليه الافلاس.

وقصة حاوي هذه لا تخلو من دلالات رمزية، دلالاتٍ ربما لخّصت مصائر الحزب ومساراته: فقد استعانت بها التجارة بعد فشل السياسة الحزبية تستعين به بعد فشله في التجارة!

على أنه ما بين الاستجارتين، وفي التقلب بين الرمضاء والنار، ترافقت مظاهر العودة، أيضاً وأيضاً، مع نجاحات محدودة ... والاختيارية، متحالفين في أحيان ومتخاصمين في أخرى، مع قوى سبق ان استُعملت لابعادهم. غير انه بدا ان مجرد السماح ... من سياسة "تسامح" عام أملتها ظروف "الراعي الاقليمي" وحساباته، فشمل "التسامح" أطرافاً يبلغ غضب الراعي عل... الشيوعيين. وغني عن القول ان المقصود هنا العونيون و"القوات اللبنانية".

وترافقت العودة، كذلك، مع انتعاش الكلام المتعلق ب "ضرورة" شمول المقاومة بيئاتٍ تتعدى "حزب الله"، فيما أشير، تكه... في مخاطبة فئاتٍ لم تُخاطَب من قبل، علماً بأنها لم تُبد الا الود الصافي. ومن هذا القبيل لاحظ البعض مساحة تتبلور وتتسع، أوساطاً كالشيوعيين، واللقاءاتِ التي انعقدت من أجل الانتخابات ومراقبتها، والحركاتِ الطالبية التي كادت تجنح نحو تأييد التح... بُعيد منع مقابلة العماد ميشال عون على تلفزيون "أم. تي. في". والقوى هذه يمكن التدليل على أنساب بينها، بحسب ما نمّ... الجامعة الأميركية ببيروت الغربية، مُنددةً بمنع المقابلة المذكورة. فقد شارك في التظاهرة طلاب قريبون من الحزب الشيوعي مؤيدون للنائب نجاح واكيم.

والحال أن توثيق الصلة بين الوضع القائم وبين العالم الطلابي يستدعي، من غير شك، تطوير الأدوات الوسيطة التي يمكنها ع... اذا ما كانت تنطوي، تقليدياً، على حضور مسيحي مرموق لم تتطبّع، بعد، علاقاته بالأمر الواقع.

على أنه منذ ابتعاد جورج حاوي عن الأمانة العامة للحزب في 1993، وتشكيل قيادة جديدة، برئاسة الأمين العام الحالي فارو السياسة بصفتها وقائع يومية وسجالات ومواقف من أحداث، حتى لا نقول بصفتها أحداثاً وصناعةً لها. وهذا الاختباء لم يكن لقرار بالانكفاء الى السرية وما تحت الأرض، بل جاء حصيلة ظروفٍ أحاطت بالشيوعيين وضبطت كل محاولة لتظهير دورٍ له كان أوحى لبعض المراقبين بأن الحزب يتهيأ لأفول أبدي، فيما أوحى لبعض آخر بأنه في مخاض ولادة جديدة وصعبة يعاني آلام وفي الحالات كافة، كان في استنكافه وسكوته أو اسكاته ما يشبه الحرد من أوضاع ساهم هو في زرعها، فحين مد يده للقطف ظ بدأ موسمه الخصب مع الانخراط النشط في حرب طائفية بدأت عام 1975، ما رافقه تنظير حماسي لها، بل تشدد، منذ البواكير مطالبة دمشق باعتماد سياسات اقتصاص راديكالي حيال المسيحيين. بيد ان ما توّجه العام المذكور تأسس في 1968، مع ا حاوي اياه تياراً يريد مصالحة الشيوعية المحلية مع القومية العربية والمقاومة الفلسطينية الناشئة. وفي هذا المعنى بدأت المد السوفياتي تتسع لتشمل في امتثاليتها قوى الجوارين اللبناني الجنبلاطية والعربي المقاومة ثم دمشق. وفي خلال العملية هذه ص طبيعة الشيوعية اللبنانية وما رست عليه في مدى نصف قرن، بصفتها تحالفاً مسيحياً ـ شيعياً أساساً، متحفظاً عن التركيبة ا العروبية السنية واللبنانية في صيغتها المارونية. وبدا من الطبيعي ان يستجر الأمر معاناة سياسية وتنظيمية تعادل اعادة تذ كثافتها ودراميتها.

وكان الأسوأ أن الطرف الآخر، أي سورية، لم يكترث لمعاناة الحزب الا بقدر ما اكترث لتاريخه وخدماته، فلم يتجاوب مع رغبات مجدداً، وسُدّت في وجهه أبوابها أكانت وزارة ونيابة، ام منافع بلدية أخرى. وعلى رغم موافقة الشيوعيين على اتفاق الطائ حزبهم الطرف الوحيد المُستَثنى بين الأطراف المنتصرة في "تعريب لبنان وتوحيده".

هذا الإبعاد الدمشقي الذي يروي معظم الشيوعيين وقائع تؤكده، وذاك الانسحاب الذي سببته أوضاع قيادتهم الجديدة، شكلا ول من الناشئة ممن لا يرون في التهميش عيباً، ولا في الحضور، بشروط الالتحاق السائدة، فضيلة. هكذا ماثلت المجموعات المذ وبين ابعادها ونفيها هي، فانعقدت من حول الحزب، في صور متفاوتة، مجموعات طالبية أطلقت على نفسها أسماء تدل الى المراهقة وتوقها الى كرامة لا يستجيبها الأمر الواقع. وتوزعت الأسماء بين شعراء كبابلو نيوردا، وشعارات صارخة كيسا كطانيوس شاهين. ولم يفت بعض الشبيبة أن يسموا أنفسهم: المجانين. وقد صدر بعض أعضاء المجموعات هذه عن بيئات مس وأحزابه، فانضافوا الى آخرين من بيئات يسارية بقي من يساريتها ميول علمانية وديموقراطية عامة. وهؤلاء في جملتهم

وحملت احداث السنوات الأربع الأخيرة التي سبقت الموعد الرسمي لانتهاء الحرب، أي ما بين 1986 و1990، معاني كثيرة الحزب الشيوعي اللبناني الذي شرع يتخذ من المواقف ما لم تعهده دمشق في حلفائها، وفي عدادهم هم أنفسهم. فقد حصلت آ مدعومة من اللواء السادس في الجيش اللبناني، وبين منظمة التحرير الفلسطينية. وطُلب من الحزب، كما طُلب من غيره الشيوعيون بمواقف مترددة وغير حاسمة، إن لجهة المشاركة أو لجهة الإدانة. وخلال الحقبة تلك كان يفترض بالحزب الإبلاغ ضد اسرائيل، لما لأعمال المقاومة من أبعاد وانعكاسات اقليمية، وكانت المقاومة داخله تحولت، بدورها، عملاً عسكرياً وجهازي والكلفة اللتين تواجه اسرائيل بهما أعمال المقاومة. وأثار الأمر هذا ردود فعل متفاوتة لدى قيادة الحزب بلغت أصداؤها، من دو وشهدت السنوات تلك موجة الاغتيالات البشعة التي تعرض لها عدد من القياديين والمثقفين الشيوعيين، فقضى بنتيجتها حسي وخليل نعوس وديب الجسيم وهاني زين الدين ولبيب عبدالصمد وغيرهم، وكان لتكرارها أن فضح هشاشة الاجراءات الأم وعناصره، كما أثارت من الخلافات الداخلية ما يكفي للعصف بتنظيم يُراد ترميمه بعد الحرب.

في تلك الغضون كانت معركة طرابلس ودخل على أثرها الحزبان الشيوعي والقومي، مدعومين من الجيش السوري، عاصمة ثأرية مسكونة بالانتقام لشيوعيين مسيحيين قتلتهم "حركة التوحيد الإسلامي" بقيادة الشيخ سعيد شعبان. لكن طرابلس لا المنسّقة، كما أن الطابع الأساسي لمعركتها ليس، الا عند السذّج، مكافحة "الأصولية الظلامية" التي رضعت طويلاً من النه هدف المعركة، كما خُطط لها وكما حصلت، عودة الشيوعيين الى المدينة ولا رد الاعتبار اليهم أو الانتقام لضحاياهم. وهذه حقيقة التفتت الذي أريد للبنان كله أن يصطبغ به، وأن يكون الاصطباغ على حافة الدم. وفعلاً ففي 1987 وقعت معركة شباط فبراير من جهة وحركة أمل من جهة أخرى، وتحولت شوارع بيروت الغربية مسرحاً لأعمالها العنيفة. ولم يهدأ الصراع بين "رفاق سنوات ثلاث معركة "تحرير" العاصمة من جيشها ودولتها، الا بعد نزول القوات السورية الى بيروت، فيما كان نشاطها من قبل

هذه الأحداث المترابطة والتي يفضي واحدها الى الآخر، وجدت لدى الحزب، وفي أوساط قيادييه العارفين بالخفايا وغير ا "واقعي". والاتجاه هذا، وهو سياسي وعسكري، كان هدفه الأساسي الحفاظ على النفس حيال التوريط الذي تسببه التحالفا الخصومات. وقد أملت هذه "الواقعية" انتقال معظم القيادة الى دمشق والإقامة فيها حيث الأمان المطلق. وفي دمشق أيضاً عُ بين 1987 و1989.

لكن هذا مجتمعاً لم يحل دون تعرض الشيوعيين، لا سيما مدنييهم والذين منهم انقطعوا عن كل نشاط سياسي علني، الى حمل المحافظات اللبنانية لا سيماالجنوب حيث المقاومة. فقد تُركوا نهباً لعداواتٍ، غريزية مرة وسياسية مرات، كان يمكن حمايتهم

فوضى المواقف والأدوار التي أدوها، والآثار المترتبة عليها.

وفي النهاية أقام الحزب في المسافة التي تفصل بين دورين يستحيل التوفيق بينهما: أن يكون أداة لسياسات أكبر منه ومن لـ
إياها، فراح يميل مرةً الى هذا الاتجاه ومرةً أخرى يرجح عليه الآخر. وفي المسافة المذكورة قضى نخبه من قضى، وهاجر من
في هذه الاقامة الرجراجة استقبل الحزب الشيوعي اللبناني اتفاق الطائف 1989 بالترحاب، وجهز له الأمين العام في حينه جـ
لغويين تفوّق فيهما الشيوعيون على من عداهم. وتوّج حاوي ترحيبه ودخوله النادي الجديد من طرف واحد، باعلانه ترشيح نـ
في المتن الشمالي، منافساً ركن الطائفة الأرثوذكسية الأول في الجمهورية اللبنانية الثانية: وزير الداخلية ميشال المر.

واستُبعد حاوي عن التعيين، وهو مصير بائس لأمين عام "حزب الطبقة العاملة"، فيما حُرص على تعيين أحد أبرز الأمناء الـ
البؤس بؤساً أن أحزاباً أخرى أقل تأثيراً وحضوراً، كالبعث والقومي السوري و"الاتحاد الاشتراكي العربي"، حصلت على مقاعـ
الشغيلة" نائب لولا أن أمينها العام زاهر الخطيب نائب أصلاً.

ويروي قيادي في الحزب ان حاوي، أثناء بداية البحث في مشروع استيعاب الميليشيات في الجيش اللبناني، طلب بحماسة قـ
بعناصره الراغبين في الالتحاق بالمؤسسة العسكرية. وفعلاً أُعدت لائحة من ثلاثمئة اسم جميعهم من الضباط الذين تلقوا درو
يفوقون أي ميليشيا أخرى من حيث العدد والتدريب. لكن اللائحة اعيدت الى الحزب كما هي، ولم يُقبل أيٌ من العناصر والضـ
رُشّت على الجرح أملاح كثيرة. فبالاضافة الى الأحزاب التي نالت حصصها، تمكن نواب جدد من تعيين أقاربهم ومناصريهم الذيـ
هذا المسلسل من الصدود والرفوض، مضافاً اليه ما كان يشهده الاتحاد السوفياتي والدول الاشتراكية في حينه من انهيار وتفكـ
حزبية مترنّحة. وفي هذه اللحظة قرر الأمين العام جورج حاوي، طائعاً مختاراً، الانسحاب من القيادة، مفسحاً في المجال أمام قيـ
كل منيتها احداث حد أدنى من الالتفاف حولها. وبدوره بدا الالتفاف صعباً على الأمين العام الجديد فاروق دحروج، ابن البقاع ا
وأجنحة كلٌ منها يغني موالاً لا تربطه صلة بالموال الذي يغنيه الثاني.

فهناك من يرى طريق النجاة في العودة الى ما قبل المؤتمر الثاني مع اعادة ترميم المواقع المسيحية والشيعية، ومن يراه في ا
بين بين. وفي الحالات جميعاً لا بد من تحديد موقف حيال دمشق هو نفسه الضمانة لأي موقف آخر يُتخذ. وإذا كان انهيار الكتلة
الاستتباع يمكن ان ترثه دمشق كاملاً هذه المرة، فإن الانهيار نفسه يحضّ آخرين على افتراض استقلالية، واهمة في الأغلب، لـ
وتحالفها مع دمشق. فالحزب الشيوعي اللبناني، في آخر المطاف، هو من قضى أمينه العام فرج الله الحلو، في 1959، بالأسـ
الأداة التنفيذية لدولة الوحدة المصرية ـ السورية. لكن الحزب نفسه هو الذي عاد الى تمجيد الناصرية، بعد خمس سنوات فقطـ
الى القاهرة حيث اعلن ان الزعيم المصري يتجه الى الاشتراكية، سالكاً اليها "طريقاً غير رأسمالي".

وعلى هذا المنوال من البلبلة والتشرذم استمرت الحال الى أن رأينا الحزب يعود أو يُعاد. بيد ان العودة، كائنة ما كانت، لا تخلو
أوضاعه السابقة. فإلى الاحتفالات بعودة سهى بشارة وأسرى آخرين، بُعث الحزب باحتفالين حاشدين آخرين والحشد في لبنان ء
الأول في منطقة حمانا احتفالاً باستشهاد مقاوم شيوعي، وقد لوحظ الحضور والتبريك من قادة ومسؤولين سياسيين وأمنيين
مشابهة للشيوعيين. والثاني، في ذكرى انطلاقة المقاومة في بيروت، وهي المناسبة التي ما كان للحزب ان يعقدها لولا ما تعارفـ
لكن البعث يبقى ناقصاً من دون المقاومة. فهي البيضة التي تدر ذهباً في السياسة الاقليمية انطلاقاً من لبنان. ثم أن شد الحز
يعنيان أن من يخطط للبعث هذا لا تفوته الرغبة في ادخال لغة المقاومة الى أوساط يصعب الوصول اليها من دون نافذة الحزب.
العادة، يصل من يريد الوصول الى حيث شاء.

ومع ان بين الشيوعيين من يرفض الاندراج في المقاومة لأسباب عدة، يبقى ان الذين يرغبون فيها يتساءلون: من أين تبدأ ا
مالية وعسكرية غير متوافرة؟ من أين يؤتى بالسلاح؟ وأين سيُجرى التدريب وبناء المنظمات العسكرية؟ فـ"حزب الله"، بحـ
أمنية واسعة يمكنه التحرك فيها، كما أنه يعد عسكرييه ويؤهلهم لأعمال المقاومة. أما الحزب فمتوسط أعمار أعضائه الذين يجيـ

**وهذا ما يعيد المشككين بالبعث الى التأكد من شكوكهم. فالأمر قد لا يتعدى في آخر المطاف رفعاً للحظر عن الشيوعيين، وتز
ووصولاً الى حواشي البيئات الشبابية التي لم تفتح أبوابها بعد. ومرةً أخرى يلوح استخدام "حزب الطبقة العاملة" بأزهد الأجو
فقبل أيام قليلة أطل جورج حاوي على شاشة المؤسسة اللبنانية للإرسال ال. بي. سي، في برنامج "كلام الناس"، ليقول كلا
اكتسبت معنى لم يصدر عن حاوي بقدر صدوره عن الشركة التلفزيونية التي غدت أوضاعها مضرب المثل في قابليات التكيّف.
هكذا بدا المشاهدون أمام طرفين كل منهما يريد تقديم الغطاء للآخر من اللحم الحي القليل الذي يملكه. والحال أنه لو تُرك الأ
للحزب، لعاد الشيوعيون ضحايا سياسات قبلوا أن يكونوا أدواتها، مهجوسين بتقديم الغطاء للحلفاء كائنين من كانوا. وأمير
القومي وعروبة لبنان كلها في الخزانة تنتظر الاستعمال، قبل ان يأكلها العفن.**

انقر هنا لقراءة الخبر من مصدره.

التعليقات: 0

مواضيع ذات صلة

هكذا تحوّل «اليساريون» العرب إلى «ليبراليين»: لبنان وسوريا أنموذجين!! 6-8

هكذا تحوّل «اليساريون» العرب إلى «ليبراليين»: لبنان وسوريا أنموذجين!! 5-8
اغتيال رفيق الحريري

حزب الله.. من المقاومة البراغماتية إلى التمكين لمشروع ولاية الفقيه 9 - 15



النخب السورية المتعسكرة ونظرتها السلبية إلى لبنان
سعورس
متابعة الصفحة
٥٫٨ ألف متابعين
سعورس
about 2 years ago
تعادل منتخب الأخضر السعودي مع نظيره البنمي بنتيجة 1-1 خلال المو
الخميس، على ملعب آل نهيان في أبو ظبي العاصمة الإماراتية في ختام ا
المرحلة الثالثة من الاستعدادات لكأس العالم 2022.
وتقدم منتخب بنما بهدف السبق عن طريق إسماعيل دياز "8"، ونجح الأ
تعديل النتيجة (...)